Research

Abstract

This article deals with the impact of the commercial activities on the Islamic Civilization's aspects. It aims to show how Islam was spread through this activity, and the role of Muslim merchants from Oman in spreading Islam in East of Africa as they took the responsibility of calling to Islam to these parts of the world, and they left their influence there. The paper also shows the role of the Muslim merchants in India, as they were honest, trustworthy, good conduct, equality, and freedom. They were humanitarian messageadvocates, and holding a heavenly belief. The data was collected from its sources and references, and I followed the historical and descriptive methods. I reached to the following findings:

Trading and Arab merchants had played a significant role in spreading Islam while they are practicing their commercial activity.

Commercial activities lead to establishing social relationships between the merchants and the people, and it was means to spread Islam.

The merchants were diligentto show good manners, honesty,and commitment to Islamic rites, so people followed them.

Intermarriage between the merchants and the women of those nations had the deepestimpact on showing the reality of Islam.

Many had converted to Islam to get rid of the classes system, because Islam consider all human beings as equal.

The Islamic culture and traditions are adopted by the people through theirtransacting with the merchants.

Appearance of scholars and intellectuals from the local people, who became Islam advocates.

المقالة البحثية

أثر النشاط التجاري على مظاهر الحضارة الإسلامي

*الطيب داؤد أبو القاسم مسيس**

*عبدالرزاق سليمان محمد أحمد***

**دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة الخرطوم، كلية التربية، قسم التاريخ، 2016م.*

***أستاذ مساعد بدرجة دكتوراه، محاضر في كلية الدراسات العليا وكلية الدراسات الإسلامية والقانون، جامعة فطاني.*

ملخص

يتناول هذا المقال أثر النشاط التجاري على مظاهر الحضارة الإسلامية، والهدف منه توضيح انتشار الإسلام من خلال هذا النشاط، ودور تجار المسلمين من عمان في نشر الإسلام بشرق إفريقيا، لما حملوا على أعناقهم أمانة الدعوة إلى الإسلام في تلك الأجزاء فكانت بصماتهم واضحة، وأيضاً توضيح دور التجار العرب في نشر الإسلام ببلاد الهند، لما أظهروا من صفات كالصدق والأمانة والمعاملة الحسنة والمساواة والحرية، فكانوا دعاة رسالة إنسانية وأصحاب عقيدة سماوية، وقد جمعت المعلومات من مصادرها ومراجعها واعتمدت فيها على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، وقد توصلت للنتائج التالية:

لعبت التجارة والتجار العرب دوراً بارزاً في نشر الإسلام أثناء ممارستهم للنشاط التجاري.

أدى النشاط التجاري إلى إقامة علاقات اجتماعية بين التجار والشعوب فأقبلوا عليهم وتلك كانت وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية.

حرص التجار على إظهار السلوك الحسن وصدق المعاملة وإقامة الشعائر فاقتدى بهم سكان تلك البلاد.

كان للمصاهرة والتزاوج بين التجار ونساء تلك الشعوب الأثر العميق في إبراز حقيقة الإسلام.

دخل الكثير في الإسلام للتخلص من نظام الطبقات لوجود صفة المساواة بين البشر في الإسلام.

انتشار عادات وتقاليد الثقافة الإسلامية بين السكان من خلال نشر التجار لها في معاملاتهم.

ظهور علماء ومفكرين من السكان المحليين وكانوا دعاة للدين الإسلامي.

المقدمة

شهد الخليج العربي أزهى عصوره التاريخية وأكثرها أمناً واستقراراً في العصر العباسي، ووصلت مرحلة كبيرة من التفوق الذي شهدته المنطقة في النشاط التجاري والملاحي، ليس فقط في منطقة الخليج فحسب وإنما في بحار الشرق بصفة عامة، حيث كان العرب خلال عصر الازدهار التجاري على صلات بحرية بالهند والصين وشرق إفريقيا، وهذه الصلات تركت آثار عظيمة على مظاهر الحضارة الإسلامية وأهمها انتشار الإسلام في تلك المناطق.(النعيمات، 2008م،ص156).

ويرجع ازدهار التجارة في العصر العباسي إلى اختلاط العرب بالشعوب الأخرى، ومن العوامل التي شجعت العرب على الاهتمام بشؤون التجارة انتقال مركز الخلافة إلى بغداد التي كانت تقع على ملتقى الطرق البرية والنهرية والداخلية، فاعتبر العراق أهم مركز تجاري بين شبه الجزيرة العربية والشام من جهة، وبين إيران والهند من جهة ثانية، ثم بين الصين وآسيا الوسطى من جهة ثالثة، وبهذا أصبح تجار العراق وسطاء بين أطراف العالم المختلف، وكانت البصرة ملتقى القوافل القادمة من هذه الأطراف، وتشعب عنها طريقان هما: طريق إلى الهند والصين يمر ببعض سواحل الهند وسيلان وخليج البنغال وسومطرة وكمبوديا ثم يصل إلى بحر الصين، وطريق آخر يسير حول سواحل شبه الجزيرة إلى البحر الأحمر.(الصالح،1982م،ص394).

فازدهار التجارة أدى إلى نمو المدن وخاصة التي تقع على مفترق طرق القوافل التي تمر بها، وظهور هذه المدن التي غدت مراكز تجارية كان بعد انتهاء الفتوحات الإسلامية، ومنها دمشق التي أصبحت مركز التقاء القوافل بين آسيا الصغرى وما بين النهرين وبلاد العرب، فاجتمعت فيها مختلف أنواع البضائع ثم توزع على مدن الساحل لتصدر عبر البحار، وحلب كانت مركزاً هاماً بين خليج البصرة والبحر المتوسط، وبغداد تتجمع بها القوافل القادمة من الشرق والغرب، والبصرة تتفرع منها طرق بحرية ونهرية وبرية إلى مختلف أنحاء العالم، وخاصة إلى الهند والصين، وسواحل إفريقية الشرقية. (الرفاعي،1419ه/1998م،ص269).

أما الخطوط التجارية التي كان يسلكها التجار كانت على مستويين، خطوط تصل بلدان الحضارة العربية الإسلامية، وخطوط بينها وبين بلدان العالم الخارجي، وهي خطوط متصلة غير منفصلة، والبعض كان برياً والآخر بحرياً، وكلاهما يشتركان في اتجاه واحد، بحيث يكون قسم من الطريق بحراً وبقيته براً، فعندها كانت تحمل بضائع من الشرق الأقصى على الطريق البحري حتى العراق، ثم تُحمل براً بعد ذلك إلى موانئ البحر المتوسط، ثم يعاد حملها عن طريق البحر إلى أوربا، وتعتبر بغداد مركز الانطلاق الرئيسي لهذه الخطوط نظراً لازدهارها التجاري، وكان خط التجارة يسير شرقاً وغرباً عبر أراضي الدولة الإسلامية.(بدر،1417ه/1997م،ص70).

ومن أشهر الطرق والمسالك التجارية التي كان يرتادها التجار المسلمون تفرعت إلى طرق برية وطرق بحرية فكانت كما يلي: الطرق البرية: وهو طريق يطلق عليه طريق الحرير، ويبدأ من بغداد ويمر شرقاً عبر خراسان من نيسابور إلى مرو ومنها إلى بخارى وسمرقند ويسير شرقاً إلى بلاد طشقند وفرغانة من بلاد الترك إلى أن يصل إلى كاشغر عند حدود الصين.(ابن خرذادبه،1408ه/1988م،ص67).

ومع عودة التجار يصبح الطريق مزدوجاً ليصل إلى مدينة القسطنطينية والغرب بواسطة نهر الفرات والبحر المتوسط من جهة، ومن أخرى بشبه

الجزيرة العربية وإفريقية ماراً بالكوفة ومكة والمدينة.(ريسلر،د.ت،ص129).

أما الطريق البحري فكان يبدأ من مدينة البصرة في جنوب العراق، ثم تسير السفن في الخليج العربي، وتسلك أحد طريقين حسب مقصدهما وطول رحلتهما، كان منها من يقصد الهند فقط، فيسير بمحاذاة الساحل، ماراً بجزيرة قيس وهرمز، ثم شاطئ فارس، فموانئ السند فساحل مليبار، أما التي تقصد الصين تسير في أواسط المحيط ومباشرة إلى سيلان ثم تصل إلى الشواطئ الشرقية كشبه القارة الهندية، وتتابع طريقها على الشواطئ إلى الصين.(المسعودي،1402ه/1982م،ج1،ص14).

كما يمثل الخليج العربي أهمية في أنه كان يتخذ قديماً معبراً مائياً لنقل التجارة البحرية بين الشرق والغرب، فكان الطريق التجاري الهام الذي يربط البحار الهندية بوسط آسيا من ناحية، وبلاد الشرق الأدنى من ناحية أخرى، وقد عرف الخليج التجارة البحرية قبل الإسلام مع الهند والصين وبلاد اليمن وبلاد الزنج في إفريقية، وتوطدت علاقتهم بالهنود، ومما لا شك أن تجار العرب الذين انتشروا على سواحل فارس والهند وبلاد إفريقية مهدوا السبيل أمام الإسلام ليصل إلى تلك البلاد.(سالم،1971م،ص401).

أثر التجار والدعاة العمانيين في نشر الإسلام في شرق افريقيا

ساهم التجار العرب في نشر الدين الإسلامي في تلك المنطقة لما عُرف عنهم من صدق في التعامل والابتعاد عن الغش عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: {من غشنا فليس منا} ، ولعل هذا الصدق في التعامل شجع العديد من سكان شرق إفريقيا على الدخول في الإسلام.

كما لعبت التجارة دوراً ايجابياً في توحيد العالم الإسلامي ونشر دينه ولغته وحضارته عن طريق القدوة الحسنة ولطف المعاملة، وإلى هؤلاء التجار وغيرهم يرجع الفضل في انتشار الإسلام إلى كل بقاع العالم.(النعيمات،مرجع سابق، ص157).

وظهر الدور البارز والمؤثر للتجار في نشر الإسلام بسبب الطرق التجارية الموصلة بين المراكز الإسلامية في شمال القارة والبلاد الواقعة فيما وراء الصحراء، وتعتبر هي المسالك الحقيقية التي تسرب الإسلام عبرها إلى قلب القارة الإفريقية، وقد انتشر الإسلام على طول هذه الطرق التجارية.

وكان التاجر سواء كان من العرب أو من أهل البلاد الذين أسلموا يجمع بين نشر الدعوة وبيع سلعته، وحرفة التجارة من طبيعتها أن يصل التاجر بصلة وثيقة مباشرة بالمجتمع الإفريقي، وخاصة صلة التجار العرب بافريقيا لم تبدأ بعد الإسلام وإنما لها جذور تاريخية قديمة، فلم يكن التجار العرب غرباء عن أهل إفريقيا وخاصة شرقها وشمالها، وكان الأفارقة يرونهم ويتعاملون معهم.(زهرة،1428ه/2007م،ص193).

وكانت العلاقة التي تربط الخليج بشرق إفريقيا قديمة، حيث ظل الاتصال التجاري ينمو ويتسع قبل الإسلام بين شبه الجزيرة العربية وموانيء الساحل الشرقي لإفريقيا، وذلك بفضل العوامل الجغرافية التي ساعدت على نشاط حركة الملاحة والمتمثلة في الرياح الموسمية التي تهب على منطقة المحيط الهندي والتي تمكن السفن الشراعية الصغيرة من القيام برحلتين منتظمتين في السنة بأقل مجهود، ففصل الخريف تدفعها الرياح في اتجاه جنوبي غربي فتخرج من خليج عمان إلى المحيط الهندي ثم تسير بمحاذاة الساحل الإفريقي الذي ينحني في اتجاه جنوبي غربي، وفي فصل الربيع تدفعها في اتجاه شمال شرقي يُمكن

السفن من العودة إلى قواعدها في سواحل شبه الجزيرة العربية، وفي خلال دورة الرياح هذه يتم التعامل التجاري، وكان لهذه الرياح الموسمية فضل في ارتباط دول الخليج العربي بشكل عام وعمان بشكل خاص بالساحل الشرقي للقارة الإفريقية.(النعيمات، مرجع سابق،ص93).

واستغل التجار العمانيين وجودهم في شرق إفريقيا لصالح الحركة التجارية ولصالح الحركة الإسلامية ذلك أنهم أثناء تواجدهم في الساحل كانوا يترددون إلى الناس ويخالطونهم وكانوا يؤثرون فيهم وخاصة في جانب سلوكهم، بل كانوا يصاهرونهم لقلة ما كان معهم من نساء عربيات، فكان لهذا الفعل الأثر الواضح في دخول كثير من الأهالي الأفارقة في الإسلام، ساعد على ذلك أن كثير من هؤلاء التجار كانوا في آنٍ واحد يجمعون بين حرفتي التجارة والتعليم، فإذا ما استقر بهم المقام على الساحل أقاموا كتاتيب لتعليم القرآن الكريم، أو بنوا مسجداً لأداء الشعائر الدينية وتعليم الناس قواعد الإسلام الصحيحة وأصول الدين وشعائره، وكل ذلك في نفس الوقت الذي كانوا يقومون فيه بممارسة نشاطهم التجاري.(عبدالحليم،1410ه/1989م،ص186).

كما كان التاجر يستخدم متجره في عدة أغراض، منها نشر الإسلام عن طريق تعليم النشء مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم جلباً للثواب، ومنها توطيد علاقة التاجر بالأهالي فيزداد الإقبال عليه وعلى متجره وعرض سلعه وبضائعه بغرض البيع والشراء، وكانت تلك طريقة في الدعوة للإسلام، ومن هذا المنطلق أصبحت كل أسرة تحتوي على بذرة إسلامية صغيرة تتمثل في الناشئة، وبالتالي مع تقدم الأيام والتدرج في الخطوات ينشأون على مبادئ الإسلام، وتنتشر الأسر الإسلامية في ذلك المحيط الوثني الكبير، وشيئاً فشيئاً ازداد عدد هذه الأسر التي حظيت بنعمة الإسلام، وعلى هذا النمط انتشر الإسلام بين القبائل الإفريقية على أيدي هؤلاء الأفارقة أنفسهم، لأن هذه القبائل كانت تعيش على الرعي، فكانت كثيرة التغلغل والارتحال من مكان لآخر بحثاً عن المراعي الخصبة لقُطعانها، فنشرت الإسلام حيثما حلت.(عبدالحليم، مرجع سابق، ص187).

وهكذا حمل عهد التجار العمانيون في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي نور الإسلام إلى داخل القارة الإفريقية، فقد هيأوا الأرض لانتشار هذا الدين بقدر ما وسعهم جهدهم وذللت لهم كل الظروف لذلك، ورغم عدم معرفتنا إلا القليل عن جهودهم في المناطق النائية إلا أن بعض السكان هناك انجذبوا إلى الإسلام متأثرين بما كانوا يحسونه من القوة الروحية العليا للإسلام المتمثلة في شفاء المرضى وفي حمايتهم من أعمال السحر في المناطق التي انتشر فيها الإسلام، كما أن الحماية التي كان يسبغها رؤساء القبائل أو الحكام الأفارقة على هؤلاء التجار في تلك المناطق النائية، أدت إلى رفع شأن دينهم وشأن الثقافة التي كانوا يحملونها.(المرجع السابق،ص188).

ولم تكن مهمة التجارة تبادل السلع ونقلها من مدينة إلى أخرى، بل كانت مهمتهم مخالطة الشعوب المختلفة، ومعاملة يطول فيها الأخذ، والإقامة قد تستمر أياماً عديدة بحسب الحركة التجارية، ومن خلال ذلك كان التجار دعاة لدينهم، وكانت دعوتهم لدين الإسلام تتسم بطرق غير مباشرة، كالسلوك الحسن، وصدق المعاملة، وحرصهم على إقامة شعائرهم الدينية في كل بقعة يترلون فيها، فكان الناس يُقبلون عليهم ويقتدون بهم وبسلوكهم، لذا كان التاجر عاملا مهماً في نشر

الإسلام بين شعوب القارة الإفريقية.(عبدللطيف، 1401ه/1981م،ص44).

يتضح مما سبق ذكره أن التاجر العماني حمل معه الإسلام بجانب بضاعته، حيث قام بدوره تاجراً وداعية لهذا الدين في نفس الوقت، وساعده على ذلك وجود الدعاة والمعلمين الذين كانوا يعتبرون أنهم مصدر مهم لهذا العمل الجليل، وهؤلاء الذين صحبوا التجار إلى شرق إفريقيا تركوهم هناك في المراكز التجارية التي أنشئت للقيام بنشر الإسلام بين شعوب تلك المناطق.

ومن هنا يظهر أن انتشار الإسلام كان مرتبطاً بالتجارة كل الارتباط، لذا كان العمانيون من أنشط التجار والملاحين وأبرزهم في العصور القديمة والوسطى، ونظراً لأنهم حملوا على أكتافهم أمانة الدعوة إلى دين الله تعالى في كل بقعة نزلوا بها وحطوا فيها رحالهم، سواء كانوا تجار أو طلاب علم، فقد كانت لهم بصمات واضحة في نشر الإسلام في كثير من بقاع المعمورة وخاصة في شرقي إفريقيا.(عبدالحليم، مرجع سابق، ص63).

ويُذكر في بداية القرن الرابع الهجري أسلم أحد الملوك الأفارقة في منطقة سفالة في موزمبيق، ورغم أن إسلامه لم يكن على أيدي التجار العمانيين إلا أنه يعود إلى ما قاموا به عندما وصلوا مملكته وأسروه عندما ارتقى سفنهم لتوديعهم ووصلوا به إلى عمان، ومنها إلى بلاد العراق حيث اعتنق الإسلام، وتمكن من العودة إلى بلاده مرة أخرى بعد اجتيازه لصعوبات بالغة، ومع ذلك فتح لهم أبواب بلاده وسمح لهم باستئناف نشاطهم التجاري في أمان وسلام، لأنهم كما قال لهم بعد أن كانت الرياح قد ألقت بسفنهم إلى بلاده وأيقنوا بالهلاك، أنهم كانوا السبب في صلاح دينه ودولته، وسعيد لما منّ الله عليه وعلى أهل دولته بالإسلام والإيمان ومعرفة فرائض الصلاة والصيام والحج، والحلال والحرام، وأنه بلغ ما لم يبلغه أحد في بلاد الزنج وأنه عفا عنهم، وطلب منهم أن يشجعوا الآخرين أن يأتوا لبلاده لأننا أصبحنا بنعمة الإسلام إخوانهم.(كحيلة،1410ه/1989م،ص55).

وهكذا كانت جهود التجار والدعاة في سبيل نشر الإسلام في شرق إفريقيا، وكان هؤلاء التجار يقومون بهذا العمل في سبيل نشر الدعوة ومن باب التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وتطبيقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: :لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمر النعم" (النووي، 1404ه/1984م، ج15،ص:178).

ونتج عن هذا الاختلاط والتزاوج الحضاري بين العرب وسكان شرق إفريقيا ثقافة واحدة أخذت من كلا الثقافتين، فمثلاً كتبت اللغة السواحيلية بأحرف عربية وتضمنت ألفاظها كثير من الكلمات العربية.(عثمان، 1978م،ص:37).

كما رافقت هذه العلاقات التجارية النشطة ظاهرة حضارية تمثلت في عملية التأثر والتأثير العميق في شتى مجالات النشاط البشري من زراعة وصناعة وملاحة وثقافة ولغة وعادات.(سالم، 1995م،ص:56).

أثر الرحالة والجغرافيين المسلمين في نشر الإسلام

استفاد التجار من كتابات الرحالة الجغرافيين أمثال المسعودي وابن حوقل في مسألة نشر الإسلام من خلال الوصف الدقيق لتلك المناطق، فالمسعودي عاش حياته في ترحال دائم وقد زار مدغشقر وزنجبار ومناطق من حولهم، فترك وصفاً جيداً في كتاباته عن شرق إفريقيا، وكيفية حركة الاتصال بين أجزائه وأحوال شعوبها وحكامها ومدى

انتشار الإسلام في هذه البلاد.(المسعودي،مرجع سابق،ج2،ص:15).

وأما ابن حوقل الذي عاش في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، قام بعدة رحلات زار خلالها القارة الإفريقية من الشرق إلى الغرب، وكتب معلومات قيّمة عن بلاد الحبشة ، وكما كتب وصفاً عن سكان مدينة زيلع وأرض الزنج، وذكر أن أهالي زيلع يدينون بالمسيحية.(ابن حوقل، 1979م،ص:60).

يبدو من ذلك أن التجار استفادوا من هذا الوصف فجمعوا معلومات عن طبيعة تلك البلدان وكيفية الوصول إليها، لنشر الإسلام فيها.

وهؤلاء الرحالة والجغرافيون هم كثر، وهذا على سبيل المثال وليس الحصر، وقد أردنا من هذا العرض لتلك المصادر لأنها تعطي صورة حية ورائعة من خلال الوصف الدقيق، أو بمعنى آخر أنها تقوم مقام الكاميرا في العصر الحديث، التي تنقل لنا صورة حية وواقعية عن حياة البر والبحر ومخاطرهما.

أثر رحلات التجار المسلمين على بلاد الهند

تعتبر الهند شبه قارة، وتحيط بها المياه من ثلاث جهات الشرق والغرب والجنوب، أما الشمال فحدودها تنتهي عند جبال الهملايا، وقد عرف العرب بلاد الهند قبل الإسلام، وكان بين المنطقتين تبادل تجاري ثم حدثت هجرات بين الهند والشعوب العربية، حتى كانت فتوح الإسلام، فوصلت جيوش المسلمين إلى نهر السند الذي يحد الهند من الغرب، فحدث تصادم بين الجيوش الهندية والجيوش الإسلامية، ورغم هذا فالإسلام دخل إلى هذه القارة قبل وصول جيوش الفتح.(بخيت،1967م،ج2،ص38).

وترجع العلاقات بين الهند والعالم العربي إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، فقد وصل العرب إلى سواحل الهند قبل مجئ الاسكندر الأعظم بعدة قرون، فازدهرت التجارة بينهما، حتى كان العرب ينقلون محصولاتها عبر الخليج، ومن ثّم إلى سوريا وشمال إفريقية، فكان العرب واسطة التجارة بين الهند وتجار العرب.(الألوائي،1384ه/1964م،ص33).

وكانت رحلات التجار المسلمين إلى بلاد الهند تُمثل سبباً من أسباب انتشار الإسلام فيها، فقد رحب أمراء المقاطعات الهندية بالتجار المسلمين، ووفروا لهم سبل الإقامة، وأكرموهم وعاملوهم معاملة حسنة، تشجيعاً لهم على التبادل التجاري ورواج التجارة، مع اختلاط التجار بالهنود، فدعوهم للإسلام، وكانت جماعات التجارة تضم عادة فقهاء وعلماء، وقد دخل الكثير من الهنود في الإسلام على أيدي التجار ومرافقيهم من رجال الدين.(الفقي،1423ه/2002م،ص:273).

وقد أدى الاتصال التجاري البحري والاستيطاني إلى عدة تأثيرات هامة، منها اعتناق كثير من أهل الهند للإسلام، كما أظهرت اللغة العربية ما تتميز به من قدرة وجمال فأثرت في لغات الهند، السندية والأردية والجواجرتية والتأميلية وغيرها، فاتخذ كُتّاب هذه اللغات الحرف والخط العربي رسماً لها كالسندية مثلاً، كما أخذت بعض الألفاظ الهندية طريقها إلى اللغة العربية على لسان الملاحين العرب فيما يتعلق بمهمتهم وصناعتهم.(عثمان، مرجع سابق،ص:39).

لهذا احتكر العرب التجارة والملاحة في المحيط الهندين وكانت المراكب التجارية الهندية وغيرها العابرة بالخليج العربي والبحر الأحمر تضطر إلى التوقف في عدن والشحر، وهما من أهم الموانئ في بلاد العرب، وذلك للتزود بالمؤن والسلع التجارية

المختلفة، وفي المقابل كانت مراكب وسفن العرب لا تنقطع عن سواحل مليبار وموانئ الهند الأخرى، حيث تفرغ حمولتها وتعود منها ممتلئة بصادرات الهند.(علي،1367ه/1947م،ص39).

وكان يتم اتصال العرب ببلاد الهند عبر ثلاث طرق أساسية إحداها برية واثنتان بحريتان، وكانت الطرق البرية تصل أهم مراكز الشرق كسمرقند ودمشق وبغداد بالهند بواسطة القوافل مارة بفارس وكشمير، وكان التجار الذين يفضلون الطريق البحري يأتون من بلاد الهند إلى موانئ الخليج الفارسي كميناء سيراف، أو كانوا يلتفون حول بلاد العرب ويبلغون موانئ البحر الأحمر لا سيما عدن، وكانت السلع التي تصل إلى الخليج الفارسي ترسل إلى بغداد، ومن بغداد إلى جميع المدن المجاورة للقوافل.(لوبون، 1969م،ص554).

وفيما يتعلق بانتشار الإسلام في الهند فقد دخل عن طريق الجنوب في أواخر القرن السابع الميلادي، فقد كان العرب يزاولون التجارة بين الهند وأوربا لحقب طويلة، مما أدى لتدفق النفوذ الإسلامي على الساحل الغربي لبلاد الهند، وكونوا جاليات كبيرة في مليبار وتزوجوا من نسائهم، فنشأ خليط من السكان يتألف بعضه من الدم الهندي، والبعض الآخر من الدم العربي، لذلك نشأت علاقات متينة بين تجار المسلمين وحكام الهند وبسطوا لهم حمايتهم، ونتيجة للحركة التجارية المستمرة نتيجة لبقاء التجار كان سبباً في نشر الدعوة، وقد وجد الذين دخلوا في الإسلام من أهالي تلك المناطق الاحترام والتقدير، بعد انتمائهم لأحط طبقة في المجتمع.(المعبري،1405ه/1985م،ص296).

كما كان لحديث العرب عن دينهم الجديد بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم فيهم، ودعوته لهم إلى التوحيد والإخاء والمساواة والمعاملة الحسنة بين الناس جميعاً، أكبر الأثر في انتشار الإسلام بين الهنود، فقد كانت الهند ترزح تحت نظام الطبقات الجائر الذي تقوم عليه ديانتهم، لذا كان في إسلامهم الخلاص من نظامهم الاجتماعي، ثم ابتعادهم عن الوثنية الهندوسية الممتلئة بالخرافات والأساطير، فكان في كل مدينة وصل إليها المسلمون جماعة اعتنقت الإسلام، وباشروا شعائرهم في حرية تامة لما كان للعرب منزلة عند الحكام، لذا وجد الإسلام في الهند أرض خصبة للانتشار.(النمر،1409ه/1988م،ص60).

فالتجار العرب كانوا يعرضون بضاعتهم ويدعون في نفس الوقت إلى تعاليم الإسلام، وما حاد واحداً منهم في بيع أو شراء، فكانت أخلاقهم تبعاً لإسلامهم، وفي المقابل كان تجار الهند يعرضون تجارتهم في البلاد العربية، فشاهدوا المسلمين في معاملتهم لإخوانهم، وللأجانب من حولهم، فأثار ذلك إعجاب الهنود وعرفوا أن هذا من خلق الإسلام، فاعتنقت أعداد هائلة منهم الدين الإسلامي.(حامد،1401ه/1981م،ص347).

كذلك مما ساعد دخول كثير من الهنود في الإسلام، أنه إذا تبنى أحد أغنياء المسلمين طفلاً هندياً نشأ هذا الطفل نشأة إسلامية، وقد حرص المسلمون على اجتذاب كثير من أطفال الهنود إذا فقدوا آباءهم وأمهاتهم وقت انتشار المجاعات، وعملوا على تحويلهم إلى الإسلام، كما عهد الأهالي بتعليم أطفالهم إلى معلمين من هؤلاء المسلمين وذلك لما أظهره المسلمون من روح التسامح.(أرنولد،1970م،ص290).

وكانت النتيجة من ذلك تشبع مسلمي الهند بالإسلام وترسخت مبادئه في معاملاتهم، ومما ساعد على زواج العرب المسلمين من نساء الهند وكثرة إنجابهم فازداد عدد المسلمين تدريجياً، ومن

آثار هذه المصاهرة أن زالت الحواجز الفاصلة بين المجتمعين الهندي والإسلامي، وتم تبادل العادات والتقاليد بينهم، مما أدى إلى انعكاس الروح العربية على أغلب حياة المسلمين الهنود، وسيطرت هذه العادات على البلاد بعد ذلك.(نوار،1419ه/1998م،ص381).

من جانب آخر كانت هناك علاقات تجارية بين عمان والهند أدت لقيام مستوطنات عمانية على السواحل الهندية، وكان التجار العمانيون يأتون ببضائعهم ومعهم العلماء والدعاة، حيث أقاموا المساجد والزوايا التي كانوا يتخذونها مراكز لنشر الإسلام بين الهنود، كما عمل الهنود معهم في منازلهم أو حوانيتهم أو في نقل بضائعهم من مكان إلى آخر، أو في تفريغ سفنهم أو شحنها بالبضائع الهندية، فكان هذا مدعاة لانتشار الإسلام بين هذه الفئات من الهنود، حتى أن الساحل قد عمه الإسلام قبيل ظهور البرتغاليين. (ابن بطوطة،1413ه/1992م،ج2،ص364).

هكذا جاء اعتناق الهنود للإسلام لما وجدوه في الدين الإسلامي من قيام المساواة التامة بين أصحابه وانعدام نظام الطبقات عندهم، ثم التخلص من استبداد حكم البراهمة ومما كان يلزم به غير المسلمين من دفع الجزية، فكل من دخل في الإسلام صار له ما لأهله من الحقوق، فلم يكن السيف هو الذي ساعد على انتشار الإسلام بالهند.(الساداتي،1337ه/1957م،ج1،ص251).

وإلى هؤلاء التجار المبشرين القادمين من بلاد العرب يرجع الفضل في انتشار الإسلام بين السكان، وفي تحويلهم من عبادة الأصنام إلى عبادة رب العباد الواحد الأحد، فالعرب لم يدخلوا محاربين ولم يستخدموا السيوف لإكراه الناس لاعتناق الدين الإسلامي بل استخدموا اللطف والفكر والمعرفة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، أكثر من استخدامهم إياها لطلب السعة في الرزق والغنى في المال.(ستودارد،1394ه/1973م،ج1،ص367).

وخلاصة القول فقد أخذ الإسلام طريقه إلى قلوب الناس وتحويل سكان الهند إليه بالتدريج، وأصبحت بلادهم جزءاً هاماً من العالم الإسلامي أثرت في تاريخه وحضارته فيما بعد، وازدهرت فيها الثقافة الإسلامية وأخرجت عدداً مقدراً من العلماء والمفكرين المسلمين، كما أصبحت الهند معبراً رئيسياً للإسلام إلى بلدان شرق آسيا، فقد اتخذ التجار المسلمون على عاتقهم دور الدعاة إلى دين الله، وكانوا لأماناتهم وصدقهم وحسن معاملتهم ما جذب الناس إلى الإسلام.(الطرازي،1403ه،ج1،ص440).

وهكذا وبفضل حماس الكثير من الهنود انصرفوا إلى الدعوة للإسلام فساروا شرقاً في رفقة التجار وقوافلهم، وجعلوا دأبهم نشر الإسلام وبناء المساجد حيثما استقروا، وقد نجحوا في هذه المهمة، حتى كان بعضهم استطاع أن يدخل في الإسلام ما بين مائة إلى ثلاثمائة من الناس في يوم واحد.(مؤنس،1408ه/1987م،ص38).

نلاحظ مما سبق أن الإسلام لم يجد صعوبة في دخول الهند، فقد كانت ظروف الهند مهيأة لقبول دين كالإسلام لما وجد الناس من خلاله الحرية والمساواة، التي تنعدم عند كثير من الشعوب بسبب الأنظمة الاستبدادية، فنجد أنه بدخول الإسلام للهند قد حققوا الكثير من المكاسب، حيث حررهم الإسلام دينياً واقتصادياً واجتماعياً، وفتحت أمامهم الحياة الإسلامية أوسع الأبواب، ووجدت الطبقات الدنيا الاحترام والتقدير من الحكام، كما نلاحظ أن الإسلام انتشر بين الهنود بجهود الأفراد وقوة نفوذه وبساطته ولم يكن هناك حاكم إسلامي

يجبر الناس على اعتناق الإسلام، وهذا ما كفل له الإسلام الانتشار دون توقف لأن المسلمين لم تكن لهم أطماع دنيوية، بل كانوا دعاة رسالة إنسانية، وأصحاب عقيدة سماوية.

الخاتمة والنتائج

بعد استعراضنا لأثر النشاط التجاري على مظاهر الحضارة الإسلامية وخاصة مرحلة انتشار الإسلام من خلال هذا النشاط، نتوصل في خاتمة المقال إلى النتائج التالية:

لعبت التجارة والتجار العرب دوراً بارزاً في نشر الإسلام أثناء ممارستهم للنشاط التجاري.

أدى النشاط التجاري إلى إقامة علاقات اجتماعية بين التجار والشعوب فأقبلوا عليهم وتلك كانت وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية.

حرص التجار على إظهار السلوك الحسن وصدق المعاملة وإقامة الشعائر فاقتدى بهم سكان تلك البلاد

كان للمصاهرة والتزاوج بين التجار ونساء تلك الشعوب الأثر العميق في إبراز حقيقة الإسلام.

دخل الكثير في الإسلام للتخلص من نظام الطبقات لوجود صفة المساواة بين البشر في الإسلام.

انتشار عادات وتقاليد الثقافة الإسلامية بين السكان من خلال نشر التجار لها في معاملاتهم.

ظهور علماء ومفكرين من السكان المحليين وكانوا دعاة للدين الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع

abn bitutati, 'abu eabdallah muhamad bin ebdallh bin muhamad bin 'iibrahim, rihlat abn bitutat almsmat tuhfat alnizar fi gharayib al'amsari, sharahah wakatab hawamishah talal harb, ta2, biruta: dar alkutub aleilmiat, 1413ha/1992m.

abn hawqal, 'abi alqasim, surat al'ardi, birut: manshuirat maktabat alhayat, 1979m.

abn khurdadhibat, 'abu alqasim eubayd allah bin eabdialaliha, almasalik walmumalik, wade muqadimatah wahawamishih wafaharisah muhamad makhzum, ta1, biruta: dar 'iihya' alturath alearaby, 1408h/ 1988m.

al'alwayiyu, muhiu aldiyn, tatawur alealaqat althaqafiat alearabiat alhindiat", majalat alrasalat, aledd1038, alqahirut, 1384ha/1964m.

alrafaei, 'anwr, alnazm al'iislamiat, t1, dmashq: dar alfikur, 1419ah/1998m.

alsaadati,'ahmad mahmud, tarikh almuslimin fi shbh alqarat alhindiat wahadaratihim, ja1,alqahrt: maktabat aladabi, 1337ah/1957m.

alsaalih, sabhi, alnazm al'iislamiat nasha'atha watatawuruha, t6, byrt: dar aleilm lilmalayin, 1982m.

altarazi, eabd allah mubashir, mawsueat alttarikh al'iislamiu walhadaarat al'iislamiat libilad alsand walbinjab, j1, jdt: ealam almuerifat, 1403h.

mundh zuhurih 'iilaa qudum alburtaghaliiyna,, msqt: jmye huquq altibe mahfuzat lilmualif, 1410ah/1989m.

eabd allatif, muhamad fahamia, "altijar almuslimun yanqulun al'islam 'iilaa alsin", albunuk al'iislamiat, aleadad 18, 1401ah/ 1981m.

eathuman, shawqi eabd alqawi, tijarat almuhit alhindii fi easr alsiyadat al'iislamia (41-904h/ 611-1498m), alkawayta: almajlis alwataniu lilthaqafat walfinawn waladab, 1978m.

eulaya, alsyd 'ahmad, "alsalat bayn alearab walhind", majalat almunhil, aleadd8, alqahirat, 1367ah/1947m.

hamid, 'ahmid, hkdha dakhal al'islam 36 dawlat, ta1, biruta: dar wamaktabat alhilal, 1401ah/1981m.

kahilat,eibadata, alearab walbuhr, ta1, alqahirt:mktibt madbuli, 1410ah/ 1989m.

lubun, ghustaf, hadarat alearabi, naqlah 'iilaa alearabiat eadil zaeaytar, alqahrt: tabae fi mutbaeat eisaa albabi alhulabii washarkah, 1969m.

munis, husayn, al'islam alfatih, t1, alqahrt: alzuhara' lil'iielam alearabi, 1408ah/1987m.

nawar, eabdaleziz sulayman, tarikh alshueub al'iislamiat fi aleasr alhadithi, alqahirati: dar alfikr alearabii, 1419ah/1998m.

alfuqi, eisam aldiyn eabd alra'uf, bilad alhind fi aleasr al'iislami, alqahirat: dar alfikr, 1423ah/2002m.

almaseudi, 'abu alhasan eali bin alhusayn bin eali, murawj aldhahab wamueadin aljawhar, ja1, ta1, birut: dar alkitab allubnaniu, 1402ah/1982m.

almaebari, 'ahmad zayn aldiyn, tuhfat almujahidin fi 'ahwal alburtaghaliiyna, qadam lah wahiqqih waealaq ealayh muhamad saeid altarihi, t1, birut: muasasat alwafa', 1405h/ 1985m.

alnaeimati, salamat salih, wanufan rajana alhamuwd wanaeim 'iibrahim alzaahir, alhadarat al'iislamiat, ta1, masr: alsharikat alearabiat almutahidat liltasawuq waltawridati, 2008m.

alnamru, eabd almnem, tarikh al'islam fi alhund, t3, alqahrt: alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1409ah/1988m.

alnuwi, 'abu zakariaa muhia aldiyn yahyaa bin sharf, sharah alnawawia ealaa maslim, ja15, ta3, biruta: dar 'iihya' alturath alearabi, 1404ah/1984m.

bakhayt,ebdalhmid, almujtamae alearabiu al'iislami, t3, alqahrt: dar almearf, 1967m.

budr, 'ahmad, "altanzim aleaskarii eind alearab almuslimina", majalat dirasat tarikhiat, aleadad 4, dimashq, 1981m.

eabd alhalim, rajab muhmid, aleimaniuwn walmilahat waltijarat wanashr al'islam

rislir, jak.si, alhadarat alearabiatu, tarjamat ghanim eabdawn, murajaeat 'ahmad fuad al'ahwania, alqahrt: aldaar almisriat liltaalif waltarjimati, (da.t).

salima, alsyd eabdaleziz wa'ahmad mukhtar aleibadi, tarikh albahriat al'iislamiat, ja1, al'iiskandrit: muasasat shabab aljamieat, 1971m.

salim, sihr alsyd eabd aleaziz, eamman watajaratuha mae alshrq al'aqsaa washarq 'iifriqia fi aleasr al'iislamii eamman eabr altaarikhi, lindana: dar 'amil lilnashur, 1995m.

satudard, luthrub, hadir alealam al'iislamii, naqlih lilerbyt eijaj nawyahdi, taeliq al'amir shakib 'ursulan, ta4, biruta: dar alfikr liltabaeat walnashr waltawziei, 1394ah/ 1973m.

'urnuld, tawmas, tarikh aldaewat 'iilaa al'iislami, tarjamat hasan 'iibrahim hasan waeabd almajid eabidin wa'iismaeil alnahrawi, alqahrt: maktabat alnahdat almisriat, 1970m

zuhrat, eabd alghani eabd alfatah, taribkh aintishar al'islam fi 'iifriqia wa'ahwal almuslimina, ta1, alryad: maktabat alrushud, 1428ah/2007m.